

مفاهيم القرآن

(59) (يَسِيرِ) . (1) وفي آية أُخرى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْأَلْبَرِّ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) . (2) وفي آية ثالثة: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) . (3) إذا وقفت على هذه الآيات، فاعلم أنَّهُ ربما يتخذ القضاء والقدر الذي نعبر عنهما بالمصير ذريعة للقول بالجبر، وبالتالي أمراً مخالفاً للعدل بحجة أنَّ اللهَ سبحانه قدَّ وجود كلِّ شيء (القدر) أو لا، و حكم على وجوده وتحققه حكماً باتاً (القضاء) ثانياً ، و كتب كلَّ ما يوجد في الكون في كتاب قبل وجودها ثالثاً . وعلى ذلك فلا محيص من الفعل والعمل، وإلاَّ يلزم خلاف تقديره وقضائه أو خلاف المكتوب في الكتاب المبين. أقول: إنَّ هذه الشبهة لم تنزل عالقة بالآذهان منذ قرون، ولكن تندفع هذه الشبهة من خلال بيان ما للقضاء والقدر من المعاني، فنقول: إنَّ التقدير والقضاء على أصناف ثلاثة: أ: القضاء و القدر: السنن الكونية. ب: القضاء والقدر: التكوينيَّان. _____ (1) الحديد: 22. (2) الأناعام: 59. (3) فاطر: 11.